

الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي

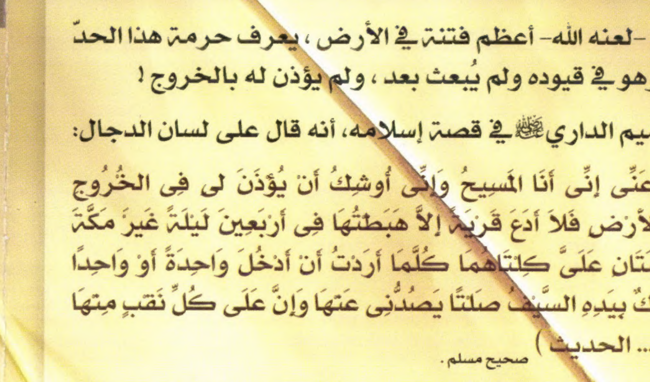
إعداد | مكتبة الحرم المكي الشريف



الحد المقدس

حدّ لا يرى بالعين المجرّدة ..

تبصره القلوب المبجّلة .. المعظّمة !!



إنّها ناقة النبي ﷺ القصواء ، التي بركت عند الحد وعلى ظهرها أشرف الخلق ﷺ ، فقال الناس : حَلْ حَلْ ؟ فألحّت ، فقالوا : خلأت القصواء - أي حزنت واستصعبت - فقال النبي ﷺ - مدافعاً عن بهيمة لا تعقل ولكنّه يعلم أنها تدرك ما لا يدركه الكثير من العقلاء - (ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق .. ولكن حبسها حابس الفيل) .

البخاري ٢٧٣١

أي الله - سبحانه وتعالى - ألهمها أنّ وراء هذا الحدّ خطراً على إمام المعظمين ﷺ وأصحابه المستضعفين ، وانتهاك لحرمة بقعة محرّمة من قبل الكفار المتأهّبين لإراقة دماء الأبرياء فيها !

هذا هو تعظيم البهائم التي لا تعقل وهي ليست مكلّفة .. فليت شعري كيف يجب أن يكون حال المكلّفين العقلاء تجاه هذه الحرمة المقدّسة ..

إنمّا هي خطوة واحدة فقط تفصل بك بين الحلّ والحرم .. تنتقل بل من حال إلى حال ..

كان أهل الكتاب يعظمون هذا الحدّ قبل الإسلام ، فيخلعون نعالهم عنده قبل تجاوزه احتراماً وتبجيلاً .. ولو فعله نبيّنا ﷺ لكان هدياً وسنّة لنا إلى قيام الساعة ، ولكن رحمة وتخفيفاً من الله على هذه الأمّة ..

وهذا ابن عمر رضي الله عنه كان من المعظّمين لهذا الحد الفاصل ، ويدرك تماماً ما يعنيه هذا الحدّ الخطير في ميزان الله قبل ميزانه .. فكان رضي الله عنه له فسطاطان: أحدهما في طرف الحرم ، والآخر في طرف الحل ، فإذا أراد أن يعاقب أهله ، أو غلامه فعل ذلك في الفسطاط الذي ليس في الحرم .. فاللهم غفرانك ..

حتّى الدجال -لعنه الله- أعظم فتنة في الأرض ، يعرف حرمة هذا الحدّ وخطورة انتهاكه وهو في قيوده ولم يُبعث بعد ، ولم يؤذن له بالخروج !

فقد جاء في قصة تميم الداري رضي الله عنه في قصة إسلامه، أنه قال على لسان الدجال:

(وَإِنِّى مخْبِرُكُمْ عَنِّى إِنِّى أَنَا الْمَسِيحُ وَإِنِّى أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِى فِى الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِى الأَرْضِ فَلاَ أَدَعَ قَرْيَةً إِلاَّ هَبَطْتُهَا فِى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا محُرَّمَتَانِ عَلَىَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِى مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِى عَنْهَا وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلاَئِكَةً يحْرُسُونَهَا ... الحديث)

صحيح مسلم.

بل حتّى الأوبئة تعرف لهذا الحد قيمته .. فتعود من حينها من عنده على عقبها، فلا تدخله وتتعداه ..

وحتى الزلازل والبراكين والكوارث الكونيّة وهي جند من جنود الله وآية من آياته ، وعلامة من علامات نقمه وغضبه سبحانه وتعالى .. من المستحيل أن تتعدى هذا الحدّ لتضرب قدسيّة بلدة حرّمها الله قبل أن توجد الكوراث وتخلق !!



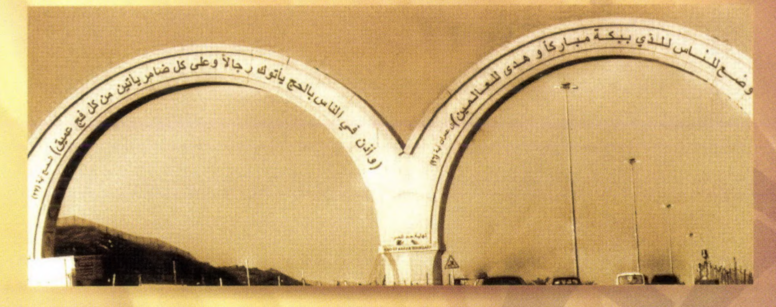
فما هو هذا الحدّ ؟؟؟

إعداد | إدارة المطبوعات والنشر

هو حد لا يرى بالعين المجردة :

ولكن تبصره القلوب المبجّلة .. المعظّمة !! بعين البصيرة وشجون المحبة !!

حدّ تزامن رسمه في اليوم الذي خلق الله فيه السماوات والأرض، فلم تتغيّر معالمه إلى يومنا هذا! بل سيبقى واضحاً وبارزاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها !! لأنّ الجليل - سبحانه - تولّى حفظه بنفسه وسخّر من خلقه من يجدّده ليكلأه برعايته ، ليبقى محفوظاً عبر القرون ، فلا يقبل اجتهاد البشر في تحديده ورسمه ، بل لا يمكن تصوّر ذلك أبداً ؟



ومن العجيب ! حتى الحيوانات والبهائم العجماوات ألهمها الله لتدرك معنى هذا الحدّ، وهي لا تقرأ ولا تكتب ولا تعرف أعلاماً ولا شخوصاً ولا أنصاباً ! ولكنّها تدرك معنى الأمن بعده ومكمن العيش بأمان دونه! فسبحان من فطرها على إجلاله .. وسبحان من أغشى عيوناً مدركة عن رؤيته !!

فهذا "محمود" فيل أبرهة العظيم ، قطع الطريق من اليمن عبر الجبال ، وأرعب وأرهب القرى والوهاد قبل العباد .. فما أن وصل إلى هذا الحد، إلاّ وخارت قواه وما حملته قوائمه .. فبرك عنده ، رهبة من خالقه وبارئه أن يراه قد تعدّى الخطّ الأحمر .. نحو حمى الجبّار !! تحمّل كلّ الطعنات بالأسنّة والرماح ويصرخ متألماً وعيناه تذرفان !! ولكن، ما كان لمحمود الفيل أن يعصي المحمود سبحانه ومن له المحامد كلها - جلّ في علاه - وينتهك حرمته الأبديّة حتى لو أزهقت دونه الأرواح ؟!

يوجهونه الوجهة الأخرى .. فما أن يحسّ أنّه ولّى الحدّ الأخطر دبره، إلاّ وتجده ينشط ويجري مسرعاً غير مبالٍ بوطءِ كلّ من وقف في طريقه، فإذا وجّهوه نحو الحد المهيب مرّة أخرى .. عصاهم وبرك !! وكأنّ أمراً ما يقف أمامه دون تقدّمه .. ولسان حاله :



عمـدوا حمـاك بكيدهـم ... ... جهـلاً وما رقبـوا جلالـك
فولّوا لم ينالوا غيـر خـزي ... ... وكان الحين يهلكهم هنالك
ولم أسمع بأرجس من رجال ... ... أرادوا الغزو فانتهكوا حرامك

فما هي إلاّ لحظات وإذا بنوع آخر من الحيوانات هذه المرّة جاءت عن طريق السماء ، ظهرت فجأة في أسراب غطّت الأفق البعيد ، حاملة معها حجارةً من سجّيل مسرعة نحو أعداء الله الذين تعدّوا الحدّ المقدّس ، لترسم أنموذج آخر في تعظيم العجماوات لحمى الرحمن - جل جلاله - ولتلقين درس قاسٍ لكلّ من خوّل لنفسه انتهاك حرمة الله فيه .

وينقل الله حكاية تعظيم تلك العجماوات للأرض المقدّسة المحاطة بالحدّ المقدّس بوحي الله من فوق سبع سماوات ! في سورة يحفظها الصغار قبل الكبار ..

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ
كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ الفيل: ١-٥

أين المفرّ والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب ..

و بعد (٥٧) سنة من حادثة الفيل وفي عام ست من الهجرة ، إذا بحيوان معظّم آخر ، تشرّف بحمل إمام المعظمين وسيد الأولين والآخرين على ظهره ! يصل عند هذا الحدّ من جهة الحديبيّة ، فيرسم صورة أخرى لتعظيم البلد الحرام ، ويخاف من انتهاك حرمته ، ولكن هذه المرة من داخل الحدّ وليس من خارجه ..